

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَنْ فَرَضَ عَلَيْهَا أَفْضَلَ شَرَائِعِ دِينِهِ، فَهِيَ شَرِيعَةٌ كَامِلَةٌ، صَالِحَةٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا أَفْلَحَ وَنَجَحَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا خَابَ وَخَسِرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَإِنَّ مِمَّا حَثَّتْ عَلَيْهِ الشَّرِيعَةُ الْغُرَاءَ: الْإِحْسَانَ إِلَى النَّاسِ، وَحِفْظُ الْوُدِّ لَهُمْ، وَلِيْنُ الْجَانِبِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَمْلِكَ قُلُوبَ النَّاسِ وَلَا يَسَعَهُمْ بِمَالِهِ، وَلَكِنْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَكَرِيمِ الطَّبَاعِ؛ وَلِهَذَا وَرَدَتِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ، الَّتِي تَحْتُ عَلَى صِلَةِ الْأَرْحَامِ.

إِنَّ صِلَةَ الْأَرْحَامِ مِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ، وَأَفْضَلِ الطَّاعَاتِ، وَقَطِيعَتَهَا مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ، وَأَخْطَرِ الْآفَاتِ، وَلِصِلَةِ الرَّحِمِ ثَمَرَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: أَمَرَتِ الْأُمَّةُ قَبْلَنَا بِصِلَةِ أَرْحَامِهَا، وَأَقْرَبَتْ شَرِيعَتُنَا ذَلِكَ، وَدَعَتْ إِلَيْهِ. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾، وَدَعَا إِلَىٰ صِلَتِهَا نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ فِي مَطْلَعِ نُبُوَّتِهِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنْتُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بَرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جُرْءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أُرْسَلَنِي اللَّهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَ؟ قَالَ: «أُرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحِّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ هِرْقَلَ سَأَلَ أَبَا سُفْيَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاةِ.

الثَّانِي: صِلَةُ الْأَرْحَامِ تَزِيدُ الْعُمْرَ، وَيُبْسِطُ بِهَا فِي الرِّزْقِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

الثالث: واصل رحمه لا يخزيه الله تعالى. قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم لما جاء يرْجفُ كما عند البخاري: «والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

الرابع: صلة الأرحام من أسباب دخول الجنة. أخرج أحمد وابن ماجه، وصححه العلامة الألباني رحمته الله، عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم انجفل الناس عليه، فكنت فيمن انجفل، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يقول: «أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»، وأخرج الشيخان عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن أعرابيا عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته - أو بزمامها -، ثم قال: يا رسول الله، أو يا محمد: أخبرني بما يقربني من الجنة، وما يباعدني من النار، قال: فكف النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نظر في أصحابه، ثم قال: «لقد وفق، أو لقد هدي»، قال: «كيف قلت؟» قال: فأعاد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة».

الخامس: صلة الرحم من أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الإيمان بالله تعالى. أخرج أبو يعلى في «مسنده»، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في «صحيح الترغيب»، عن رجل من خثعم رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه، قلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: «نعم». قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «إيمان بالله». قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: «ثم صلة الرحم».

السادس: صلة الرحم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخرج الطبراني في «معجمه الكبير والأوسط»، وابن حبان في «صحيحه»، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في «صحيح الترغيب»، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحب المساكين، ومجالستهم، وأن أنظر إلى من تحتي، ولا أنظر إلى من فوقي، وأن أصل رجلي وإن أدبرت».

السابع: حق الرحم في البذل والعطاء مقدم على التامى والفقراء. أخرج أحمد وأهل السنن عدا الترمذي، وصححه العلامة الألباني رحمته الله، عن سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه قال: قال

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ».

الثَّامِنُ: صِلَةُ الرَّحِمِ تَدْفَعُ عَنْ صَاحِبِهَا مِيتَةَ السُّوءِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَيُوسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

عِبَادَ اللَّهِ: كَمَا أَنَّ لِصِلَةِ الرَّحِمِ ثَمَرَاتٍ عَظِيمَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَكَذَلِكَ لِقَطْعِهَا أَضْرَارٌ وَخِيمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مِنْهَا:

الأوَّلُ: يُعَجَّلَ اللهُ ﷻ الْعُقُوبَةَ لِقَاطِعِ الرَّحِمِ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ».

الثَّانِي: قَاطِعُ الرَّحِمِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ».

الثَّالِثُ: لَا يَقْبَلُ اللهُ ﷻ عَمَلَ قَاطِعِ رَحِمٍ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَحَسَنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلُّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يَقْبَلُ عَمَلَ قَاطِعِ رَحِمٍ».

الرَّابِعُ: قَطِيعَةُ الرَّحِمِ حَرْمَانٌ مِنْ صِلَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، وَمُؤَذِّنٌ بِاللَّعْنَةِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، فَقَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ»، ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: صِلَةُ الرَّحِمِ أَجُورٌ كَبِيرَةٌ، وَطُرُقٌ سَهْلَةٌ يَسِيرَةٌ، زِيَارَةٌ وَصِلَةٌ، بِشَاشَةٍ وَلِينٍ

مُعَامَلَةٍ، وَمُهَاتِفَةٌ وَمُرَاسَلَةٌ، هَدِيَّةٌ وَسُؤَالٌ، صَدَقَةٌ وَتَفَقُّدٌ لِلْأَحْوَالِ، مُشَارَكَةٌ فِي الْأَفْرَاحِ،
وَمُوَاسَاةٌ فِي الْأَتْرَاحِ، زِيَارَةٌ مَرِيضِهِمْ، وَإِجَابَةٌ دَعْوَتِهِمْ، وَتَحَمُّلُ الْأَذَى مِنْهُمْ، وَالصَّفْحُ عَنْهُمْ.
فَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَتَوَاضَعُوا، وَتَغَاضُوا عَنْ زَلَّاتِهِمْ وَتَغَافَلُوا، وَاقْبَلُوا أَعْدَارَهُمْ إِنْ هُمْ أَخْطَأُوا
وَاعْتَذَرُوا، وَاصْفَحُوا عَنْهُمْ، وَانْسُوا مَعَايِبَهُمْ، فَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا.

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ كَثُرَ تَهَاجُرُ ذَوُو الرَّحِمِ فِي زَمَانِنَا لِحُطُوظِ دُنْيَوِيَّةِ دِينِيَّةِ حَقِيرَةٍ، وَاسْتَمَرَّتِ الْقَطِيعَةُ
وَالهُجْرَانُ حَتَّى لَا قُوا رَبَّهُمْ، وَتَرَكُوا جِيْفَةَ الدُّنْيَا وَرَاءَهُمْ، وَسَيَقْضِي اللَّهُ الْحَكْمَ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ.
فَكُلُّ رَحِمٍ آتِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ صَاحِبِهَا، تَشْهَدُ لَهُ بِصِلَةٍ إِنْ كَانَ وَصَلَهَا، وَعَلَيْهِ بِقَطِيعَةٍ إِنْ كَانَ قَطَعَهَا.

إِنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْرِفُ مَعْنَى صِلَةِ الرَّحِمِ، وَمَتَى يَكُونُ الْإِنْسَانُ وَاصِلًا لِرَحِمِهِ، قَالَ
الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمِنْهَاجِ»: «أَمَّا صِلَةُ الرَّحِمِ فَهِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقْرَابِ عَلَى حَسَبِ
حَالِ الْوَاصِلِ وَالْمَوْصُولِ، فَتَارَةٌ تَكُونُ بِالْمَالِ، وَتَارَةٌ بِالْخِدْمَةِ، وَتَارَةٌ بِالزِّيَارَةِ وَالسَّلَامِ، وَغَيْرِ
ذَلِكَ. وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»: قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: تَكُونُ صِلَةُ الرَّحِمِ
بِالْمَالِ، وَبِالْعَوْنِ عَلَى الْحَاجَةِ، وَبِدْفَعِ الضَّرْرِ، وَبِطَلَاقَةِ الْوَجْهِ، وَبِالدُّعَاءِ. وَالْمَعْنَى الْجَامِعُ:
إِيصَالُ مَا أَمَكَنَ مِنَ الْخَيْرِ، وَدَفْعُ مَا أَمَكَنَ مِنَ الشَّرِّ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ.

وَلِنَعْلَمَ أَنَّ لِذَوِي الْأَرْحَامِ مَرَاتِبَ فِي الصِّلَةِ، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمِنْهَاجِ»: قَالَ أَصْحَابُنَا:
يُسْتَحَبُّ أَنْ تُقَدَّمَ فِي الْبِرِّ الْأُمُّ، ثُمَّ الْأَبُّ، ثُمَّ الْأَوْلَادُ، ثُمَّ الْأَجْدَادُ وَالْجَدَّاتُ، ثُمَّ الْإِخْوَةُ
وَالْأَخَوَاتُ، ثُمَّ سَائِرُ الْمَحَارِمِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ، كَالْأَعْمَامِ وَالْعَمَّاتِ، وَالْأَخْوَالِ وَالْخَالَاتِ،
وَيُقَدَّمُ الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، بَلِ الْوَاصِلُ مَنْ إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا. أَخْرَجَ
الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ
بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا انْقَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا».